الأدب العربى كأدب عالمى

للأستاذ محمد على إمام المحامى

أتحدث عن الأدب العربى كأدب مصور للعواطف البشرية المشتركة، صادق فى تصويره لهذه العواطف ، ذلك الأدب الذى يتجرد من الأوضاع والأوساط المحلية ويتسامى إلى بحث العواطف الإنسانية التى لا يحدها تقسيم أنثروبولوجى أو فاصل وضعى .

وإذن فالجزء النفسى الخالد هو حجر الزاوية فى بناية الأدب العالمى ، ذلك لأن الإنسانية متشابهة فى إحساساتها وميولها . فالحب عاطفة جياشة تغزو قلوب الشرقيين كما تغزو قلوب الغربيين ، والإحسان عاطفة تفيض بها نفوس الشرقيين كما تفيض بها نفوس الغربيين . وهنا مسألة أحب أن أقف عندها قليلا .

قد يقوم الأثر الأدبى على العنصر الدينى Element Religieux كما نجد فى شعر حسان بن ثابت، وكما نجد فى رسالة الغفران لأبى العلاء والكوميديا الإلهية لدانتى والفردوس لملتون . وقد يقوم الأثر الأدبى على العنصر الحماسى Element Heroique كما نجد فى شعر المتنبى والبارودى وكما نجد فى « الالياذة » لهوميروس . وقد يقوم الأثر الأدبى على العنصر العلمى Element Scientifique كما نجد فى مخلفات الجاحظ وابن سينا ، وكما نجد فى قصص « Jule verne » وهى قصص كانت تدور على اكتشافات علمية ظهرت فيما بعد ، وكأن الكاتب هو المكتشف لها، وكما نجد فى مذكرات «شرلوك هولمز» الأسس الأولى للشرطة العلمية Police Scientifique لواضعها كونان دويل Conan Doyles

وقد يقوم الأثر الأدبى على وصف محلى للطبيعة Soeale كما نجد فى القصيدة السينية للبحترى فى وصف قصور كسرى أنو شروان ، ورواية « زينب » للدكتور هيكل ، ورواية سلمى لمدام أمى خير ، وكما نجد فى قصيدة « البحيرة » للامرتين . وفى رأيى أن هذه الآثار كلها أدب عالمى مادامت الفكرة الانسانية تكمن فى أطوائها ، وما دامت العاطفة البشرية لعب دورها فيها . والأدب العربى - من هذه الناحية - أدب عالمى ، والمقام لا يتسع هنا للإشهاد والتدليل ، فمن شاء فليرجع إلى الآثار الأدبية يجد فيها حاجته ويقضى منها لبانته .

أنتهى من هذا فأتحدث عن الجانب الآخر للموضوع ، عن الأدب العربى كأدب له حيويته وقوته، أتحدث عن الأدب العربى القديم وأوازنه بالآداب التى عاصرته. وأتحدث عن الأدب العربى الحديث وأوازنه بالآداب التى تعاصره :

الآداب التى عاصرت الأدب العربى القديم تنتظم أربعة آداب : الأدب اليونانى القديم، الأدب الرومانى القديم ، والأدب الفارسى القديم ، والأدب الهندى القديم .

يطلق بعض العلماء — المتوفرين على دراسة الآداب القديمة — على الأدب الجاهلي، أدب البساطة والسذاجة ، بل يذهبون إلى أكثر من هذا فيشبهونه بأدب الزنوج الذين يعيشون في أفريقيا والهنود الحمر الذين يعيشون في أمريكا .

فالعرب — عند هؤلاء — قد بعدت بهم مواطنهم عن سيول الأمم المهاجرة والدول الغازية ، واعتزلت عن سائر الأمم بعض الاعتزال بالصحارى والبحار ، فهم لذلك أدنى إلى البداوة منهم إلى الحضارة ، ثم لم يكن أدبهم وليد الدرس والتعلم ، ولا سليل إعمال الفكر والتعمق في التخيل بل نتيجة طبيعة دراكة وفطرة حساسة ونفوس ذكية نظرت فألهمت فنطقت في غير تصنع ولا تكلف .

لكن التاريخ يحدثنا عن قيام مدنية باليمن، وآثار اليمن القائمة إلى اليوم وما رواه المؤرخون عن قصورها ومصانعها وعن سد مأرب وأمثاله ، كل ذلك يشهد بما كان في اليمن من عمران.

كذلك يحدثنا عن أهل الحيرة وبني غسان وعما كان بينهم وبين الفرس والرومان من حروب تستلزم حتما قيام مدنية لا يمثلها هذا الأدب الجاهلي . وسواء أأخذنا بنظرية القائلين بتمثيل هذا الأدب الجاهلي للعصر السابق للإسلام أم عدم تمثيله فليس هناك من شك في أن ما وصل إلينا من هذا الأدب قليل من كثير ، وليس هناك من شك أيضاً في أن هذا القليل لا تعرف منه مكان هذا الأدب من الآداب الأخرى المعاصرة له .

جاء الاسلام وخرج العرب يحملون رسالتهم الدينية والخلقية ، وصمدوا للجهاد والفتح في سبيل الله حتى أنشئوا ملكا طبق الأرض، وما يكاد يستتب لهم الأمر حتى تسيطر هذه الرسالة العلمية، وحتى يتقلص ظل الرسالات التي سبقتها .

وهنا نجد ظاهرة غريبة . القرآن هو كلام الله ، أنزله على رسوله ، يتلقاه المسلمون قاطبة بالتجيل والاحترام ، وطبيعي ألا يقبل الاسلام إلا ومعه اللغة العربية ، تلك اللغة التي نزل بها القرآن وأرسل بها الرسول . وهنا أيضاً لا نجد لغة مقصوراً فهمها على عدد من العلماء كما كانت الحال في ديانة زرادشت Zoroastrian والديانة الهندية .

لم يثبت للأدب العربي — فيما أعلم — عليه شيء من الآداب الأخرى حتى البلاد التي لم تمح لغتها الأولى ، فقد بقيت اللغة الفارسية لغة التخاطب في هذه البلاد ، ولكن اللغة العربية ظلت لغة الأدب والثقافة . كذلك لم يثبت للأدب العربي الأدب البيزنطي على قوته، فقد ضعف وتضاءل حتى انحصر في بلاد البيزنطيين والقسطنطينية وحل محله الأدب العربي في البلاد التي كان يسيطر عليها .

وعلى ذكر الأدب اليوناني يقول الأستاذ جيب في كتابه «تراث الاسلام» موازناً بين الأدب اليوناني والأدب العربي: «من أهم مميزات الأدب العربي والفارسي أنه عاطفي Romantic ،

وأن الطالب الذى نشأ على حب المثل اليونانية فى الأدب لن يجد فى أدب العرب والفرس تلك الصفات التى امتاز بها أدب اليونان ، والتى هى السر فى قوته الساحرة الباقية على مدى الزمان ؛ ويرغم مافيه من قوة الصياغة فإن فيه جموداً ، وفى أدب اليونان تنوعاً ، وفيه إغراقا ومبالغة وفى أدب اليونان شدة واتزانا. وقد بلغ الكتاب اليونان واللاتين مابلغوه من العظمة بتوخى البساطة والسهولة وعدم الاندفاع ، على حين أن الكاتب الشرقى ينسج آياته فيملؤها بالبديع الغامض من اللفظ ، ويلتمس لها الاستعارات والكنايات البديعة الخلابة . واليونانى يؤثر فى الفكر بواسطة الجمال الخالص ، أما العربى أو الفارسى فيؤثر فى الحاسة وفى الخيال بما يأتى به من الألوان الساحرة» . فالأستاذ جيب ينكر على الأدب العربى جموده وعدم تنوعه ووقوفه عند الأدب الرومانتيكى أى العاطفى ، وفى تعبير أدق وأوضح: ينكر عليه الشعر القصصى والشعر الغنائى والشعر التمثيلى ، كما نستبين ذلك من كتابه .

وردنا على ذلك أننا نجزم - فى قوة وفى يقين - بوجود هذه الألوان من الأدب فى الأدب العربى ، وإن اختلفت من حيث الكم فى الأدبين ؛ فالشعر القصصى نتلمسه فى شعر المهلهل وعنترة وابن أبى ربيعة والنميرى وغيرهم ، كذلك نتلمسه فى هذا الشعر الذى قيل فى حرب البسوس وداحس والغبراء وسيف بن ذى يزن ، وما إلى هذا مما نجده متفرقاً فى كتاب الأغانى وغيره من الكتب العربية ، وأنت واجد جمهرة كبيرة من الشعر التمثيلى أيضاً فى الأدب العربى إذا حذفت كلة قلت وقالت أو قال من القصيد العربى . أليس شعر ابن أبى ربيعة - حين يقف فى طريق الركب إلى الحجيج ، وحين يقف من صاحبته ، وحين تقف منه ، وحين يتحبب إليها ، وحين تتجنى عليه - شعراً تمثيلياً بكل مافى هذه الكلمة من مدلول؟ أليس شعر امرىء القيس - حين ينفلت فى ظلام الليل ويدخل على صاحبته فتأبى عليه ويلح عليها - شعراً تمثيلياً ؟

وفيم إنكار جيب على الأدب العربى خلوه من الشعر الغنائى ، والأدب العربى كله يمثل عواطف النفس وأهواءها ؟ وإذا كان الأمر كما يقول ، فماذا يرى فيما يتحدث به زملاؤه من بنى جنسه من أن العرب وأخلافهم قوم عاطفيون يسيرون وراء العاطفة وأهواء النفس ؟

هذا تخبط واضطراب من « جيب » ومن لف لفه فى غير ماشك لا يزيه ولا يفوقه إلا تخبطه واضطرابه حين يأخذ على الأدب العربى إغراقه ومبالغته واندفاعه .

فالأدب الحقيقى هو الأدب الذى يتجلى فيه الصدق والدقة الفنية ، وليس من الجائز مطلقاً - وفقاً للمنهاج العلمى الحديث - أن نصدر حكمنا على الأدب العربى بما نشاهده فى الأدب اليونانى ، بل يجب أن نحكم عليه وفق ميول أبنائه ، ووفق درجة نجاحه فى التعبير عن أفكارهم وأخيلتهم وأغراضهم . فإن كان هناك ميل إلى الإغراق والاندفاع فى طبيعة العربى ، فقد أدى الأدب العربى - كأدب حق - أمانته فى دقة وفى صدق ؛ على أننى لا أرى فيما قالوه

إغراقا واندفاعا ، ولكن الإسراف بدا فى آثار المقلدين من الشعراء فحاله هؤلاء إغراقاً واندفاعاً ، وإذن فلا مأخذ ولا قصور فى الأدب العربى.

أما الرومان فلم يكن لهم إنتاج خاص يفخرون به إذا استثنينا القانون والتشريع . أما أدبهم فقد كان صدى للأدب اليونانى ، وشعرهم التمثيلى ما كان ليذكر بجانب الشعر التمثيلى اليونانى، وخطباؤهم مقلدون ومحاكون لشيشرون الذى تهذب وتتلمذ بدوره على أفلاطون.

أما الهنود فقد كانت لهم آداب واسعة هندوكية وبودية، وكانت أداتها اللغات الكلاسيكية التى كان مقصوراً فهمها على طائفة بعينها من الناس . ولأنهم قوم مفكرون، وفلاسفة بالسليقة ويرون أن التاريخ سلسلة وقائع ملموسة ، وهم لا يعنون بغير الروح، وثمة لم يسيغوه مادامت هذه المادية لا تتفق وتلك الفلسفة؛ لهذا لم يترك لنا التاريخ إلا القليل النادر من آثارهم الأدبية التى تمكننا من الحكم على مكانة هذه الآداب .

ترك لنا التاريخ - فيما ترك - كتاب الهنود المقدس «الفيدا» الذى تأثر به الأديب والفيلسوف الإسبانى « سرفنتيس » مؤلف « دون كيشوت » ، وترك لنا أيضاً كتب « الأوبنشاد » الهندية التى يحدثنا عنها شوبنهور بأنها دروس شائقة لها أثرها فى ترقية الذهن البشرى ، وبضع مؤلفات كرواية « شاكونتالا » التى وضعت قبل المسيح بزمن ليس باليسير ، ورواية « جيتا » التى لا تختلف كثيراً عن رواية « هوراس » من حيث تصوير الميول المختلفة ودقة هذا التصوير . ولكن هذه الآداب كانت من الضعف والحصر فى دائرة ضيقة هى الوثنية، بحيث إنها تلاشت فى الجهات التى هيمن عليها الاسلام خاصة فى القرن الثالث عشر حينما توغل الأتراك المسلمون فى فتوحاتهم فى الهند .

ومهما يكن من شىء ، فالأدب العربى القديم الذى أتحدث عنه أدب - لعلى لم يصمد له أدب من الآداب التى عاصرته حتى الأدب اليونانى أساس الآداب الأجنبية الحديثة، والمنهل الذى روت منه واغتنت على حسابه كما يقول رجال الاقتصاد . وليس أدل على هذا الثبات من هذه الظاهرة الغريبة : يغزو اليونان والرومان البلدان والأذهان بالسيف والحضارة والعلم، ويغزو الفرس البلدان والأذهان بالسيف والحضارة والعلم، ويلبثون السنين الطوال يمكنون لأنفسهم ويطبعونهم بطابعهم حتى إذا ماوهنت الأيدى ودال السلطان تنكرت المعارف وعفت الآثار .

وتدول دولة العرب وينقلص ظل هذه الصولة ، فيظل الأدب العربى بحيث هو ، وتظل الثقافة العربية بحيث هى ، لا تؤثر فيها عوادى الزمن ولا أحداثه .

وبينما البلاد التى يسيطر عليها الأدب العربى يغمرها العلم والثقافة إذا بالغرب يغمره الجهل والأمية ، وإذا بمدرسة تنشأ فى أوائل القرن الثانى عشر يكون همها ترجمة الكتب العربية ، فتترجم كتب الرازى وأبى القاسم الزهراوى وابن سينا وابن رشد ، وتترجم كتب أبقراط

وأفلاطون وأرسطو وإقليدس من العربية ، وتظل هذه الكتب موضعاً للبحث والدرس خمسة قرون أو تزيد فى الجامعات الأوروبية .

إن هذه الخصومة القائمة حول الأدب العربى ـ قديمه وحديثه ـ يمثلها فريقان : فريق من أبناء الشعوب الموتورين وتجار العقائد ، وفريق من أبناء العربية عاشوا حيناً من الزمن فى الحى اللاتينى ومونبارناس ، وجاءوا يحملون إلينا قشوراً من الآداب الأجنبية ، ويحملون حتى هذه القشور السطحية بلا فهم أو استيعاب ، ويدعون إليها وينتصرون لها فى شىء من الغفلة غير قليل ، فهم لم يدرسوا الأدب العربى ، فاذا حاولوا درسه اقتصروا على بضع نماذج مدرسية قليلة لا تغنى ولا تفيد ، ثم خرجوا من هذه الدراسة يفضون من قدره ويستعدون الشباب عليه . أما الفريق الأول فلا أرى رداً أجمل ولا أقنع من أن أذكر له نبذاً مما قاله أبناء جنسه ، وممن أخلصوا للعلم البحث والدرس :

يقول بترارك شاعر إيطاليا العظيم فى القرن الرابع عشر : « ماذا ! ماذا ! أبعد ديموستين يستطيع شيشرون أن يكون خطيباً ؟ ؟ أو بعد هوميروس يستطيع فرجيل أن يكون شاعراً !! وبعد العرب يستطيع أحد أن يكتب ؟؟

« لقد ساوينا الاغريق غالباً وشأوناهم حيناً ، وإذا شأونا الاغريق فقل شأونا جميع الأمم ، ولكن ما عدا العرب ! يالله الجنون ! يالله الضلال ! يالعبقرية إيطاليا الراقدة الجامدة ! »[1].

واسمعوا ماقاله المؤرخ الانجليزى ويلس : « هب العرب يظهرون ماخفى من مواهبهم فبهروا العالم بما أوتوه من معجزات العلم ونفخوا فيه من روحهم الحياة والقوة » إلى أن قال : « إن العلوم والآداب الحقيقية لم تدخل أوروبا إلا عن طريق العرب » . وانظروا إلى ماقاله المسيو ليبرى « Libri » : « منح العرب من التاريخ تتأخر نهضة الآداب فى أوروبا قروناً طويلة » ، وكثير جداً مثل هذا ذكره الثقات والمنصفون من أبناء الغرب ، تضيق الصفحات عن ذكره .

وأما الفريق الآخر من أبناء العربية ـ وهو الفريق الساخط على أدب بنى جنسه المتبرم به ـ فأنا أرجوه وألح فى الرجاء أن يدرس الأدب العربى دراسة تحليلية عميقة وفقاً للمنهاج العلمى الحديث الذى درسه قبل أن يدرس الأدب الغربى الذى يتغنى به ، وأنا زعيم له بأنه سيجد فى الأدب العربى مادة واسعة ومنهلا ثراراً لمن شاء الوقوف على أسرار الحياة وحقائقها.

وإن لغة وأدبا ـ كما يقول شاعرنا مطران ـ جاء بها كتاب الله لا يمكن أن يقال إنها لا يكونان أدبا عالمياً. أما الأدب العربى الحديث فأنا أرجىء الكلام عنه إلى مقال آخر إن شاء الله ؟

محمد على إمام

(١) تراجع الرسالة ع ٣

« يجب على أن ألاحظ أنه بعد ملاحظاتك المقذعة لست أستطيع أن أضيف جديداً ؟ » ، ثم انصرف خارجاً .

ذهب إلى منزله وهو يكاد لايحس بالأرض التى يمشى عليها ، وكان الظلام قدأرخى سدوله وقد تبدى سكنه موحشاً مقبضاً على أثر هذه الجهود العظيمة التى بذلها ولم يوفق فيها، ولقدرأى وهو ينسل إلى داره خادمه إيفان راقداً على مرقده القذر وكان يبصق فوق البلاط ، فتقزز كوفاليوف وتميز غيظاً من قذارة خادمه حتى إنه صفعه على جبهته قائلا : « أيها الخنزيرا أنت دائماً تفعل مثل هذا » فانتفض إيفان وهب واقفاً واندفع نحو سيده يعينه على خلع ردائه ، وعندما ولج الماجور باب حجرته ـ وكان مضنى مهموماً ـ ألقى بنفسه على مقعد وثير ، وبعد ما تأوه مراراً قال:

« أى ربى ! أى إلهى! لماذا حلت بى هذه المصيبة ؟ لو أنى فقدت ذراعاً أو ساقاً لكان أهون على نفسى، أما العيش بدون أنف فهذا يجعلنى غير معروف النوع: فلست سمكة ولادجاجة ولا إنساناً ، ولست أصلح لشىء غير أن أقذف من نافذة بأعلى المنزل ، ولقد كنت أكون مرتاح الضمير لو أنه قطع فى معركة حربية أو فى مبارزة أو لو كان قد قطع بمحض إرادتى، ولكن العجيب أنى فقدته بدون سبب أو حجة أو مبرر ، فقدته لغير ماسبب البتة » ،وأعقب ذلك صمتاً ثم قال: «مستحيل ! لا! لايصدق الانسان العاقل أن أنفاً يستقيل من منصبه ويترك وظيفته،هذا وهم باطل ، ربما أكون قد شربت بدلا من الماء قليلا من الفودكا التى أمسح بها ذقنى عقب الحلاقة فهيأت لى الأمور على غير حقيقتها » .

ولكى يتحقق أنه ليس فى حلم أخذ يقرص نفسه بشدة بالغة حتى صرخ متألماً، ولقد أقنعه هذا الصراخ للمرة الأخيرة أنه كان فى عالم الحقائق والوقائع لا فى عالم الوهم والبطلان،فاقترب بكل تؤدة واحتراس من المرآة ثم أخذ يختلس ـ فى جبن ـ نظرة واحدة منها ولكنه لم يعثر على ضالته فى موضعها الأصيل ، فتراجع وهو يصيح : « أى صورة فكاهية هذا الوجه ! ».

وفى الحق لم يكن الأمر معقولا أو مقبولا ، ولو أن الذى ضاع كان زراً من أزرار المعطف أو ملعقة فضية أو ساعة أو ماشابه ذلك لكان أمراً مقبولا ، أما وقد ضاع الأنف فهذا غير مفهوم .... وبعد أن فكر فى كل الظروف السابقة لفقدانه أنفه وصل الماجور بتفكيره إلى أن أقرب مايكون إلى الحقيقة أن الذى مهد السبيل لفرار الأنف هو ذلك الشخص الذى أراد أن يتزوج من ابنته وتلك هى مدام بودتاتشين،وفى الحق كان كوفاليوف يحب أن يغازل ابنتها ، ولكنه كان دائماً يتجنب أن يعدها بخطبته لها ، وعندما كانت أمها تصارحه بأمر زواجه بابنتها كان كوفاليوف يتملص بدهاء منها ، وذلك بأن يكثر من تحياته لها وتشكراته وبقوله إنه مازال صغير السن وإنه يفضل أن يبقى خمس سنوات أخرى حتى يصير عمره اثنتين وأربعين سنة ، وإذن فقد تكون مدام بودتاتشين قد أصرت على سبيل الانتقام أن تشوه خلقته فأستأجرت لذلك الغرض ساحرة من سحرة الفلاحين . فرض كوفاليوف ذلك الفرض لأنه يستحيل أن الأنف يكون قد قطع بأى

« يجب على أن ألاحظ أنه بعد ملاحظاتك المقذعة لست أستطيع أن أضيف جديداً ؟ » ، ثم انصرف خارجاً .

ذهب إلى منزله وهو يكاد لايحس بالأرض التى يمشى عليها ، وكان الظلام قدأرخى سدوله وقد تبدى سكنه موحشاً مقبضاً على أثر هذه الجهود العظيمة التى بذلها ولم يوفق فيها، ولقدرأى وهو يتسل إلى داره خادمه إيفان راقداً على مرقده القذر وكان يبصق فوق البلاط ، فتقزز كوفاليوف، وتميز غيظاً من قذارة خادمه حتى إنه صفعه على جبهته قائلا : « أيها الخنزير! أنت دائماً تفعل مثل هذا » فانتفض إيفان وهب واقفاً واندفع نحو سيده يعينه على خلع ردائه ، وعندما ولج الماجور باب حجرته - وكان مضنى مهموماً - ألقى بنفسه على مقعد وثير، وبعد ما تأوه مراراً قال:

« أى ربى ! أى إلهى! لماذا حلت بى هذه المصيبة ؟ لو أنى فقدت ذراعاً أو ساقاً لكان أهون على نفسى، أما العيش بدون أنف فهذا يجعلنى غير معروف النوع: فلست سمكة ولادجاجة ولا إنساناً ، ولست أصلح لشىء غير أن أقذف من نافذة بأعلى المنزل ، ولقد كنت أكون مرتاح الضمير لو أنه قطع فى معركة حربية أو فى مبارزة أو لو كان قد قطع بمحض إرادتى، ولكن العجيب أنى فقدته بدون سبب أو حجة أو مبرر ، فقدته لغير ماسبب البتة » ،وأعقب ذلك صمتاً ثم قال: «مستحيل ! لا! لايصدق الانسان العاقل أن أنفاً يستقيل من منصبه ويترك وظيفته،هذا وهم باطل ، ربما أكون قد شربت بدلا من الماء قليلا من الفودكا التى أمسح بها ذقنى عقب الحلاقة فهيأت لى الأمور على غير حقيقتها » .

ولكى يتحقق أنه ليس فى حلم أخذ يقرص نفسه بشدة بالغة حتى صرخ متألماً، ولقد أقنعه هذا الصراخ للمرة الأخيرة أنه كان فى عالم الحقائق والوقائع لا فى عالم الوهم والبطلان،فاقترب بكل تؤدة واحتراس من المرآة ثم أخذ يختلس - فى جبن - نظرة واحدة منها ولكنه لم يعثر على ضالته فى موضعها الأصيل ، فتراجع وهو يصيح : « أى صورة فكاهية هذا الوجه ! ».

وفى الحق لم يكن الأمر معقولاً أو مقبولا ، ولو أن الذى ضاع كان زراً من أزرار المعطف أو ملعقة فضية أو ساعة أو ماشابه ذلك لكان أمراً مقبولا ، أما وقد ضاع الأنف فهذا غير مفهوم .... وبعد أن فكر فى كل الظروف السابقة لفقدانه أنفه وصل الماجور بتفكيره إلى أن أقرب مايكون إلى الحقيقة أن الذى مهد السبيل لفرار الأنف هو ذلك الشخص الذى أراد أن يتزوج من ابنته وتلك هى مدام بودتاتشين،وفى الحق كان كوفاليوف يحب أن يغازل ابنتها ، ولكنه كان دائماً يتجنب أن يعدها بخطبته لها ، وعندما كانت أمها تصارحه بأمر زواجه بابنتها كان كوفاليوف يتملص بدهاء منها ، وذلك بأن يكثر من تحياته لها وتشكراته وبقوله إنه مازال صغير السن وإنه يفضل أن يبقى خمس سنوات أخرى حتى يصير عمره اثنتين وأربعين سنة ، وإذن فقد تكون مدام بودتاتشين قد أصرت على سبيل الانتقام أن تشوه خلقته فأستأجرت لذلك الغرض ساحرة من سحرة الفلاحين . فرض كوفاليوف ذلك الفرض لأنه يستحيل أن الأنف يكون قد قطع بأى

وسيلة كانت ، ذلك لأنه لم يدخل عليه فى حجرته أحد ما ، ولقد حلق له الحلاق إيفان پاكو فلفتش فى يوم الأربعاء ، وطوال الأربعاء ، بل حتى يوم الخميس كله كان الأنف مايزال قابعاً فى موضعه ، هذا شىء يذكره كوفاليوف تمام الذكر ، وفوق هذا لو صح أنه اقتطع اقتطاعاً لشعر أولا بالألم ، ولما اندمل الجرح بهذه السرعة حتى صار وجهه كالفطيرة الطازجة . رسم كوفاليوف جملة خطط لمحاسبة مدام بودتاتشين : فهو يمكنه أن يرفع عليها دعوى فى المحكمة ، ويمكنه أن يذهب إليها بنفسه ويستقدمها معه ، ويمكنه غير ذلك ؛ وبينما هو كذلك إذ قطعت عليه أفكاره وخططه سلاسل الأضواء التى انبعثت خلال ثقوب الباب منبئة بأن المصباح قد أشعل عند دخول خادمه إيفان ، وسرعان مادخل إيفان وهو يحمل المصباح فأضاء الغرفة كلها ، وكانت أول حركة بدت من جانب كوفاليوف آنئذ هى أن يجذب منديله بسرعة البرق ليحجب به الموضع الذى كان بالأمس يتحلى بالأنف ، حتى لايتفرس خادمه الغبى فى وجهه عند رؤيته له .

وقبل أن ينصرف الخادم إيفان إلى مضجعه سمع صوت شخص غير مألوف وهو يجتاز المدخل الخارجى على حين كان يقول : « هل الماجور كوفاليوف هنا ؟ » ، فقال كوفاليوف : « نعم نعم! إنه هنا » ، على حين كان مندفعاً بسرعة نحو الباب ليفتحه ، فدخل ضابط من ضباط البوليس حسن الهندام له شاربان متوسطا الطول والكثافة وخدان بارزان ، هو عين ذلك الشخص الذى استوقف الحلاق إيفان پاكوفلفتش عند نهاية الكوبرى كما مر فى صدر القصة .

قال : « هل افتقدت أنفك ياسيدى ؟ »

« نعم » ، (بصوت منخفض حتى لايسمعه خادمه)

« لقد وجد الآن » .

« ماذا تقول؟ » ، قال الماجور ذلك وكان السرور قد حبس لسانه فلم يستطع إلا أن يحدق النظر بعينين متسمتين إلى ضابط البوليس الواقف أمامه الذى كان ينعكس على شفتيه ووجنتيه ضوء الشمعة الوضاء ، ثم قال : « وكيف ؟ »

« كان ذلك بمصادفة عجيبة ، فقد قبض عليه أثناء الطريق وهو ذاهب إلى ريغا ، وكان يحمل جواز سفر ، باسم مستعار على أنه موظف حكومى ، والعجيب أنى توهمته سيداً محترماً بادىء ذى بدء ؛ ولكن لحسن الحظ كانت معى نظارتى التى مكنتنى من أن أعرف أنه الأنف ، وأنت تعلم أنى قصير النظر حتى إنك لو وقفت أمامى ، فإنى أشاهد فقط أن لك وجهاً ، ولكنى لا ألحظ أنفك ولا لحيتك ولا أى شىء آخر ، وحماتى لاترى شيئاً أيضاً » .

وكان الفرح قد سد على كوفاليوف كل مشاعره فقال بلهفة : أين؟ أين؟ دعنى أعرف ذلك لألحق به الآن .

« لاتربك نفسك ؟ فلعلمى بأنك فى حاجة ماسة إليه قد أحضرته معى ، والشىء الغريب أن الشخص الذى أعانه على الفرار حلاق متشرد بشارع فورنسكى وهو الآن رهين الاعتقال ، وقد

اشتبهت فيه منذ زمن أنه سكير ولص ، وأول أمس فقط سرق حزمة من الأزرار من متجر عظيم ..... هاك أنفك كما كان بالضبط من غير زيادة ولا نقصان »، قال ضابط البوليس ذلك على حين كان يخرج الأنف من جيبه. « هو ، هو ، بكل تأكيد ، من غير شك ، لاريب .... يجب أن تتناول معى هذا المساء كوباً من الشاى » .

« يسرنى ذلك كثيراً ولكنى قد لا أستطيع ذلك الآن ، إذ يجب على أن أتوجه إلى ملجأ الأحداث ..... لقد صارت أثمان الحاجيات مرتفعة و عندى فى المنزل حماتى وأولادى وأكبرهم سناً تبدو عليه ملامح النجابة ودلائل الأمل ، فهو ذكى جداً ولكن ليس لدينا مال يقوم بتربيته .... » ، قال ذلك ثم خرج . ولقد ظل كوفاليوف بعد خروج رجل البوليس فى حالة ذهول تام زمناً طويلا ، ولما استعاد رشده تناول بغاية الاعتناء ذلك الأنف المعاد إليه بين كفيه وهو يلصقهما الواحد بالآخر، وصار يفحص الأنف بانتباه ويقظة .

« نعم هو بعينه ، هو بكل تأكيد ، وهذا هو الدمل الذى برز فى الجانب الأيسر أمس ». قال ذلك وهو فاغر فاه ضحكا وسروراً . ولكن ليس فى الوجود شىء يدوم طويلا ، فإن سرور كوفاليوف لم يكن عظيما فى اللحظة التالية ، وفى اللحظة التى تلتها كان أقل أيضاً ، وأخيراً عاد إليه عبوسه الأول ، فقد كان كوفاليوف مثل الماء الذى ترتسم على سطحه حلقات متعددة عند سقوط حجر فيه ، ثم لا يلبث أن يعود إلى حالته الأولى إذ تتبدد تلك الحلقات رويداً رويداً .

فكر كوفاليوف فوجد أن المشكلة لم يحل إلا جزؤها : الأنف قد وجد وأعيد إليه ، ولكن المهم أن يعاد إلى موضعه ، (وما قيمة ذلك إذا لم يثبت فى موضعه ؟) كذلك تساءل كوفاليوف فيما بينه وبين نفسه .

وأخيراً اندفع إلى المنضدة وأزاح المرآة إلى أعلى وأراد أن يحكم وضع الأنف فى وسط الوجه ، وكانت يداه ترتجفان ، ومع ذلك فقد وضعه فى موضعه الأول تماماً إلا أن الأنف لم يلبث فى مكانه قط ، فأخذ يشفتيه وأخذ ينفخ فى باطنه بنفسه الحار عليه يدفأ فيقبل الالتحام ، ثم أعاد وضعه إلى المكان الخالى بين خديه ولكن الأنف لم يلتصق ، فخاطبه قائلا : « هلم هلم التصق أيها المجرم » إلا أن الأنف كان يبدو كأنه لوح من الخشب ، وسقط من يديه فوق المنضدة فانبعث من سقوطه صوت يشبه قرقعة الزجاجة المسدودة عند فتحها ، فرفعه ثم قال : « يجوز أنه لا يثبت فى موضعه مرة ثانية » ، وكان كلما أعاده إلى موضعه يؤوب من التجربة بالفشل والخسران .

فاستدعى إليه خادمه إيفان وأوفده إلى طبيب كان يستأجر الدور الأول من نفس المنزل ، وكان الطبيب رجلا ظريفاً وسيما له شاربان أسودان وزوجة حديثة ، وكان يأكل التفاح الطازج فى كل صباح ويحفظ فمه على الدوام نظيفاً ويمسحه كل صباح مستعملا خمس فرجونات مختلفات ، وكان يستغرق فى مسحه نحو ثلاثة أرباع الساعة تقريباً ، وجاء هذا الطبيب فى الحال ، وفى حين كان يسأله الطبيب عن الوقت الذى ألمت به هذه العلة ، كان أيضاً يقبض على ذقن الماجور كوفاليوف

بيد ويلمس موضع الأنف بيده الأخرى ؛ فانتزع الماجور رأسه بسرعة حتى إنه ارتطم بالحائط فطمأنه الطبيب ونصحه بأن لا يجذب رأسه هكذا ، ثم طلب إليه أن يدير أولا رأسه إلى اليمين ؛ وحين أداره لمس الطبيب الموضع الذى كان الأنف به فقال كوفاليوف : « أوه! أوه»، ثم طلب إليه أن يدير رأسه إلى اليسار ففعل ولمسه الطبيب فى موضع أنفه على كره منه ؛ وأخيراً نقره فى ذلك الموضع حتى إن كوفاليوف جذب بسرعة البرق رأسه فارتطم ثانية بالحائط ، وبعد أن قام الطبيب بهذه المشاهدة هز رأسه وقال :

« لا ، لا يمكن ، الأفضل لك أن تبقى على ما أنت عليه الآن ، إذ لو أعيد الأنف لصار وبالا عليك ، قد يمكن أن يرشق فى موضعه إلا أننى لا أستطيع ذلك فى الحال ؛ على أنى أؤكد لك أن فى إعادته وبالا عليك » .

« جميل ما قلت ، لكن كيف أعيش بدون أنف ؟ ليس يمكن أن تكون الأمور شراً مما هى الآن ، لست أستطيع أن أطلع أحداً من الناس على شكلى وأنا بهذا الوجه الكاريكاتورى ، لى أصدقاء عديدون ، فمثلا اليوم كان ينبغى لى أن أكون فى حفلتين مسائيتين ، إذ أنا أعرف شخصيات بارزة كثيرة ؛ فأعرف مدام تشهتارف زوجة ذلك الضابط الخطير ، ومدام بودتاتشين أرملة ضابط خطير آخر.... ولو أنها لعبت دوراً ضدى إلا أننى لن أمسها إلا عن طريق البوليس ، بربك أعنى على إعادته ..... هلا توجد طرق لذلك ؟ وحتى لو لم يمكن تثبيته جيدا ، فأنا أقبل إلصاقه بأى شكل كان ؛ إذ طالما يثبت فى موضعه فانى أستطيع أن أسنده بيدى فى الظروف الحرجة ، ولن أرقص بحال من الأحوال حتى لا يصدمه راقص فيقلبه . أما فى ما يختص بأجرك فثق بأن لك منى كل ما تسمح به ظروفى » .

فأجابه الطبيب فى صوت ليس بالمرتفع ولا بالمنخفض ولكنه مقنع جذاب : « صدقنى أنه لا يمكن أن يحفزنى إلى العمل أدنى باعث من بواعث الشفقة لأن ذلك ينافى مبادىء على ، وطبعاً كنت أستطيع أن أرد إليك أنفك ولكن أؤكد لك بشرفى أن فى ذلك وبالا عليك ، وأفضل شىء أن تنتظر فعل الطبيعة وصنيعها بك ..... اغسل موضع الأنف بالماء الساخن دائماً ، وأنا أؤكد لك بأنك ستكون فى صحة جيدة ، وأنصحك أن تضع أنفك فى زجاجة صغيرة مع ملعقتين من الفودكا ؛ وحينئذ تستطيع أن تبيعه بمبلغ عظيم من النقود ، وربما أخذته أنا لنفسى إذا لم تغل فى ثمنه » .

فقال الماجور كوفاليوف ، وقد تملكه اليأس والحنق : « لا ! لا ! لا ! أنا لا أبيعه بأى ثمن مهما غلا ، والأفضل عندى أن يفقد بدلا من أن يباع ويشرى ويوضع موضع المساومة » .

فأجابه الطبيب وهو يهم بالخروج : « معذرة ! كنت أحب أن أقدم لك معونتى ، وعلى كل حال فأنت تعلم أنى بذلت قصارى جهدى » ، قال ذلك ثم سار إلى الباب منصرفاً .

وفى اليوم التالى قبل أن يرفع كوفاليوف شكواه إلى البوليس صمم على أن يكتب رسالة

إلى مدام بوتاتشين ليعرف ما إذا كانت على استعداد أن ترد إليه حاجته المسلوبة فكتب إليها ما يأتى:

سيدتى العزيزة الكساندرة جريجوريفنا :

لست أستطيع أن أفهم سلوكك الغريب حيالى ؟ ومهما يكن من شىء فأنا أؤكد لك أنك لن تربحى منقال ذرة مما فعلت ، كما أنك لن تتقدمى قيد شعرة فى سبيل إرغامك إياى على الزواج من ابنتك . صديقتى ! ان فعلتك الشنعاء المتعلقة بأنفى لم تعد بعد خافية على، كما لم يعد خافياً على أنك وحدك الشخص المسئول عن ذلك ، فان فرار المذكور آنفاً من موضعه الطبيعى، ثم تخفيه تارة فى ثوب موظف حكومى ، وتارة فى صورته المعتادة ليس الا نتيجة للسحر الذى قمت به أنت أو قام به أولئك الأجراء الذين يحترفون هذه الحرفة الشريفة مثلك . وأنا أحس بانه من واجبى أن أنذرك قبل إبلاغ أى جهة أخرى ، فاذا لم يكن الانف المذكور فى موضعه اليوم فسأضطر إلى الاستعانة بحماية القانون .

ولى عظيم الشرف — مهما يكن الأمر — أن أكون خادمك المقدر لعملك ؟

أفلاطن كوفاليوف

سيدى العزيز أفلاطن كوزمتش .

لقد أدهشنى خطابك كثيراً جداً ، ويجب على أن أصارحك بأنى لم أكن أتوقع منك منك ، وعلى الخصوص ما كنت أتوقع تخرصاتك على ، وأؤكد لك أنى ما استقبلت قط ذلك الموظف الحكومى فى منزلى ، كما أشرت فى خطابك ، لا متخفيا ولا فى لباسه العادى. حقاً لقد زارنى إيفان إيفانوفتش بوتانتشيكوف ، ومع أنه طلب منى يد ابنتى — وهو كما تعلم ذلك الشخص الحسن السلوك الكثير العلم الوافر الذكاء — إلا أننى لم أشجعه قط فى أمله . ثم إنك تشير أيضاً إلى أنفك ، فاذا أردتنى أن أفهم من ذلك أنك تتوهم بأنى أرفع الأنف بشمم ، أعنى أننى أرفض خطوبتك باحتقار ، فلا شك أن قولك مستهجن إذا أنك تعلم أنى كنت وسأكون دائما على نقيض ذلك . فاذا كنت كلفاً بابنتى وواضعاً نصب عينيك الزواج منها فأنا على استعداد لأن أعاونك حالا ، لأن هذا كان على الدوام أهم رغائبى ، وسأظل دائما مستعدة لخدمتك ؟

الكساندره بوتاتشين

فقال كوفاليوف بعد أن اطلع على رسالتها : (لا ، الحق إنها لا تستحق اللوم ، لا يمكن ذلك إذ الخطاب مكتوب كما لو كان صادر عن شخص برىء لاعلم له بالجريمة ..... ولكن بأى وسيلة حدث هذا الحادث المشئوم؟ ذاك سر لم أمط عنه نقابا ، قال ذلك على حين سقطت يداه الى جانبيه لما أعيته الحيل وأضناه التفكير .

وكانت قصة الأنف قد ذاعت فى كل أطراف المدينة ، وفيها زيادات وإضافات لاغنى للناس عن انتحالها .

وفى هذا الوقت عينه شغلت أفكار الناس قاطبة قاطبة بتلك التجارب العجيبة التى أجريت فى

مسائل التنويم المغناطيسى ، وفوق هذا كانت قصة المقعد الرقاص الذى يرقص فى شارع «كونيوشنى» مازالت عالقة بالأذهان لقرب عهدها، وإذن فليس عجيباً أن نرى الناس بدءوا يعتقدون أن أنف كوليوف اعتزل وظيفته وكان يسير فى ميدان نفسكى فى تمام الساعة الثالثة بعد الظهر . وكان الناس المستطلعون يتجمهرون هناك كل يوم. وقيل مرة أن الأنف فى متجر يوتكر ، فكنت ترى الجماهير أكداساً عند باب هذا المتجر حتى إن البوليس اضطر أن يتدخل فى أمرها، ولقد انتهز هذا الزحام أحد المتفرجين ـ وهو رجل كان يبيع الحلوى والمأكولات عند أبواب دور التمثيل ـ فصنع مقاعد خشبية ليقف عليها من شاء من الجماهير مقابل أجر قدره ثمانية كوبكاً لكل مقعد . وقد خرج واحد من الضباط العظام من منزله مبكرا بقصد التفرج، فشق طريقه وسط الزحام بشق الانفس حتى وصل إلى المتجر ولكنه امتلأ حنقاً وغيظاً فى الحال ، لأنه بدلا من أن يرى الأنف المزعوم رأى نفس الصديرى الصوفى المعتاد وإلى جانبه صورة تمثل فتاة رشيقة تسحب جوربها إلى أعلى ، فى حين كان شاب أنيق يسترق النظرات من وراء شجرة قريبة ، وتلك صورة تقوم فى موضعها ذاك منذ أكثر من عشر سنوات ، فقال بحنق وهو يهم بالانصراف: « كيف ينقاد الناس لمثل هذه القصص السخيفة التى لا تصدق؟ »، ثم ذاعت إشاعة أخرى بأن أنف الماجور ليس فى ميدان نفسكى، ولكنه يتجول فى حديقة « تافرتشسكى » ، وأنه كان هناك منذ زمن بعيد ، وأنه لما كان « هرزف ميرزا » يسكن هناك كان يدهش جداً لمثل هذه العجيبة . فيمم شطر تلك الحديقة كثير من طلاب أكادمية الجراحة ، وكتبت سيدة من الطبقة الراقية خطاباً إلى مدير الحديقة ترجوه فيه أن يرى أبناءها تلك الظاهرة العجيبة ؛ وأن يشرحها لهم إذا أمكن شرحاً وافياً .

ولقد صار كل الذين يحضرون المجتمعات الساهرة ـ بقصد الاتصال بالفتيات الجميلات وإدخال السرور إلى قلوبهن ـ جد شاكرين لمثل هذا الحادث الذى أتاح لهم أن يتندروا به ، لأن ثروتهم القصصية كانت قد بددت فأفلسوا من الأقاصيص والأحاجى. ولم يستأ من هذا الحادث غير جماعة صغيرة من ذوى الرأى . قال واحد منهم إنه لا يفهم كيف أن الناس فى هذا العصر المستنير بضياء العلم والمعرفة يذيعون بإيمان واعتقاد تلك السخافات المختلفة ؛ وأعجب من هذا أن الحكومة تسكت حيث كان يجب الكلام . وهذا السيد على ما يظهر هو من أولئك الذين يريدون الحكومة أن تتدخل فى كل شىء حتى فى النزاع اليومى الذى يحدث بين الزوجات والأزواج ..... وهنا أيضاً ذهب الحادث فى طيات النسيان ولم يعرف أحد ماذا جرى بعد ذلك .

— ٣ —

إن فى العالم متسعاً لكل السخافات ، وأحيانا لا تمت تلك السخافات إلى الحقيقة بأية صلة؛

هذا الأنف الذى كان يتجول بعربة فى زى رسمى ، والذى أقام المدينة وأقعدها عاد إلى سابق موضعه بين وجنتى الماجور كوفاليوف كأن لم يحدث شىء هناك،حدث هذا فى السابع من ابريل فقد استيقظ الماجور كوفاليوف ذلك الصباح وتناول المرآة صدفة فرأى أنفه . أحكم وضع يده عليه فوجد أنه أنفه لاشك فيه ، فأخذته نوبة من السرور وقهقهه كثيراً وأخذ يرقص حافى القدمين فى حجرته ولم يصده عن تهريجه غير دخول خادمه إيفان . أمر خادمه أن يحضر له ماء فى الحال ، ثم أخذ يغسل وجهه وفى أثناء ذلك عاود النظر إلى المرآة مراراً فكان يجد الأنف فى موضعه ، ثم مسح وجهه بمنشفة واختلس أثناء ذلك جملة نظرات فى المرآة ليتأكد من وجود الأنف .

« انظر ياإيفان كنت متوهماً أن دملا فوق أنفى » كذلك قال كوفاليوف لخادمه على حين كان يقول فى نفسه: « كم أخشى أن يجيبنى إيفان بقوله لاياسيدى ، لادمل هناك ولاأنف »

ولكن إيفان قال : « لا شىء هناك ولا دمل ، أنفك ياسيدى لا بأس به ».

فقال الماجور فى نفسه : « لقد بدد الله الظلام »

وفى هذه اللحظة كان إيفان يا كوفلفتش الحلاق يدفع باب الغرفة ليدخل ، ولكنه كان كالقط الذى يريد أن يدخل حجرة خرج منها طريداً لسرقة ارتكبها. فلما لمح طرفه الماجور كوفاليوف صاح فى وجهه : « أخبرنى أولا هل يداك نظيفتان » ؟

فقال الحلاق : « نعم »

« أنت تكذب ! »

« لا ورب ياسيدى، هما نظيفتان ».

« حسناً ، هلم احلق »

وجلس الماجور كوفاليوف إلى مقعد ثم طرح إيفان يا كوفلفتش عليه منشفة ، وفى قليل من الزمن غطى كل ذقنه وبعض خديه بالصابون

هل عيناى بخير ؟ قال ذلك إيفان يا كوفلفتش فى نفسه ؟ على حين كان يدير رأس زبونه من اليمين إلى اليسار وبالعكس وهو يتأمل الأنف ملياً ثم قال أيضاً: « الأنف هو هو بكل تأكيد ولكن ما معنى ذلك الحادث ؟ » ثم ابتعد قليلا وكان يدقق النظر فيه أيضاً وأخيراً رفع يده بكل حذر وبطء ليلمس طرف الأنف .

فقال كوفاليوف على الفور: « حاسب . حاسب . حاسب» فتراخت يد إيفان يا كوفلفتش، وتراجعت بسرعة وامتلأ هو بالرعب والاضطراب بشكل لم يسبق له مثيل — وبدأ أخيراً أن يجرحه بالموسى تحت ذقنه لأنه يصعب على إيفان يا كوفلفتش أن يحكم وضع موساه إذا لم يكن يقبض جيداً على عضو الشم . ومع ذلك فقد غرس أصابعه فى خد كوفاليوف وبذلك تغلب على الصعوبة وأنجز مهمته الشاقة .

فلما انتهت الحلاقة شرع كوفاليوف فى ارتداء ملابسه على وجه السرعة ثم امتطى عربة وتوجه نحو الحلوانى . وقبل أن يدخل الباب أخذ يصيح : « ياجرسون! كوب من الكاكاو »، واختلس فى اللحظة عينها نظرة فى المرآة فرأى الأنف ، وحينئذ أشاح بوجهه من فرط السرور ثم رفع عينه ببطء كما يفعل الارستقراط من الناس فوقعت عيناه على اثنين من ضباط الجيش، كان أنف أحدهما لا يكبر على الزر حبة، فخيل إلى الماجور كوفاليوف أن يحذر ذلك الضابط من محاولة هروب أنفه واعتزامه الاستقالة من مركزه، إلا أنه تمالك نفسه وانشغل بمراجعة التحقق من أنفه .

ثم انصرف نحو المصلحة الحكومية التى تقدم إليها للتوظف كمساعد للحاكم أو إذا لم يوفق فى ذلك فكرئيس للكتبة. وعند مروره بحجرة الانتظار نظر فى المرآة لآخر مرة فاطمأن لوجود الأنف ، ثم شق طريقه إلى ماجور آخر كان من دأبه أن يتهكم على كل شىء . وفى أثناء ذهابه إليه كان يقول فى نفسه: « إذا لم ينفجر الماجور ضاحكا عند رؤيته لى فذلك تأكيد قاطع بأن كل شىء فى موضعه » ، إلا أن الماجور الساخر لم يقل شيئاً من ذلك ، فقال كوفاليوف فى نفسه :« حسناً ، حسناً جداً . الحمد لله »، ثم إنه صادف فى طريقه مدام بودتاتشين مع ابنتها فأكثر من التحية والانحناء لها فحياه بنوع من الدهشة والاغتباط معاً جعله يزداد اطمئناناً بأن كل شىء فى موضعه سليم برىء من النقص . وتحدث معهما طويلا ، وفى أثناء ذلك أخرج علبة نشوقه ثم وضع السعوط فى خيشوميه سويا، متعمداً ذلك حتى لا يهمل مراجعتهما.

ومنذ ذاك الوقت أخذ الماجور كوفاليوف يتجول فى ميدان نفسكى ويرتاد المسارح كأن لم يكن حدث هناك . كذلك الأنف فقد ربض فى موضعه من غير انحراف ولا اعوجاج كأن لم يكن قد فارق كوفاليوف قط . وبذلك كان الناس يرون الماجور ضاحكاً نشيطاً مطارداً لكل الفتيات الحسان .

تلك هى الحادثة الغريبة التى وقعت فيما مضى فى العاصمة الشمالية لامبراطوريتنا الشاسعة، والآن فقط عند ما نتأملها ندرك أنها تشتمل على أشياء لا يمكن وقوعها البتة ، فاذا تجاهلنا تلك الحقيقة وهى أن أنفاً يمثل موضعه ويظهر فى أمكنة مختلفة فى زى رسمى إنما هى محض خرافة ! فان هناك مالا يمكن تجاهله ، وهو كيف أن كوفاليوف لم يدرك أنه ليس من اللائق أن يعلن عن خرافة فى الصحف السيارة ؟ ثم كيف وصل الأنف إلى الرغيف ؟ وما شأن إيفان يا كوفليتش به ؟ لست أستطيع أن أفهم ذلك.

ولكن أبعد الأشياء غرابة وبعداً عن التصديق هو أن الكتاب يتناولون هذا الحادث بأقلامهم ، وأنا أصرح بأن هذا فوق مداركى، فالحادث قبل كل شىء لا فائدة فيه للوطن، وثانياً ثم ثانياً أيضاً لا فائدة فيه بالمرة.. وفى الحق لست أجد ما أقوله عنه... ومع ذلك فعندما تمعن النظر فيه فستجد فيه حتماً بعض الشىء . وهكذا تقول الناس فان مثل هذا الحادث يحدث حقيقة ـ لا كثيراً ـ ولكنه يحدث والسلام، يحدث فى أوهام الجماهير وعند ضعفاء التقدير والتفكير.